

وليس فى الأمر عناء كبير، فإننا لا نلتمس العزيز الذى لا يملك أو الغاية التى لا تدرك، لكن قصارى مرامنا أن تحصل لنا المساواة ومراعاة الحقوق، وأنا على يقين إن دامت هذه الغيرة غيرة التقدم الموجودة فى عصرنا الآن لابد أن يوماً ما ترجع بلادنا إلى زهوتها، وتسترد جمالها المفقود سيما بغيره ولى أمرنا وسلطاننا الذى اتخذ الحرية شعاعاً ورفع العدل مناراً، والذى لم يزل ساهراً على رعيته وساعياً لها بالتقدم والفلاح فالبس العلوم والمعارف حلة سنوية فتلاآت فيها كواكب العرفان والنجاح حتى أضحت شبان وشابات العصر الحميدى الأسنى يجتنون من رياض العلم ثمراً يانعاً، ويرشفون من موارد الآداب ماءً صافياً، فكيف يطاق الصمت عن تعداد حسن مآثر أبناء جيلنا وتبيان مفاخره، فحقاً إن صمت اللسان فلا تطيق النفس الصبر وأبى العدالة والشهامة أن تخفى أو تطوى فى بطون الأرض أعمال الجيل التاسع عشر.

فبشراك بشراك أيها العصر الحميدى عما أخذ بنوك فى تقدمهم على ما مضى من الأجيال، فلا زلت ذا سعدٍ منير ببرد المجد والفخار تحت لواء أمير المؤمنين أيد الله جلالتة وعضد سلطانه أمين

«مارى خليل شمهيل»

إحدى تلميذات مدرسة الشويفات

«إنها الغيرة الوطنية»

«لترقية البضائع الشرقية»

«لحضرة الكاتبة الفاضلة الأدبية العقيلة هنا كورانى فى بيروت»

«تابع ما قبله»

فهذه هى حقيقة أحوالنا المحزنة ودخائلنا المشوشة التى كان بوسعنا اتقاؤها

والخلاص منها، لو تدبرنا أمرنا وأشغلنا القوى فى إصلاح أحوالنا الداخلية لا الخارجية، فأرضنا والحمد للمنان جيدة التربة رحة بنا إذا صرفنا الاهتمام إلى فلاحتها وزراعتها نغذى منها ونرسل من غلاتها إلى البلدان الأجنبية ما يعود علينا بالذهب الرنان، وصنائعنا التى نبذناها ظهرياً والتى يتوقف عليها تحسين أحوالنا المادية لو أعرنها الاهتمام الواجب والإكتراث الأكبر لكفت حاجاتنا من رداء ومتاع، وزادت على ذلك فأرسل منها إلى الغربيين ما فاض على البلاد بالأرباح والخيرات، ولكننا عوضاً عن ذلك نبيع الأجانب محصولات البلاد من حرير وصوف وما شاكل، بأبخس الأثمان ونستردها منهم بدفع ثقلها ذهباً، فيكون الريح لهم لا لنا فكان جديراً بنا اتقان صنائع البلاد على أنواعها الشتى والاستغناء عن السلع الأوروبية لتزيد موارد الثروة ومناهل الغنى، ويتوفر علينا المصاريف الفاحشة التى قد قادت الكثيرين إلى المهاجرة أو الخراب التام. وبالحقيقة أنه يوجد فى بلادنا من الأنسجة الحريرية والصوفية والقطنية مما يليق بقصور الملوك، فإنى قد بحثت فيها ورأيت فى أعظمها من دقة الصنعة مع حسن الذوق والمتانة ما كنت أجهله والجهل ذنب سوادنا الأعظم.

ويا حبذا لو تعاون وجهاء البلاد واتفقوا على نبذ البضائع الإفرنجية، وصرف الاهتمام إلى الصنائع والمنسوجات الوطنية على أنواعها، لعاشت البلاد بعد موتها وزادت مداخيلها عن الآن بما لا يقاس، وذلك لرواج البضائع الشرقية فى أوروبا وأميركا وغيرها من البلدان.

حقاً إنه لا يحسنُ بنا ارتداء الحرائر الأوروبية الغالية والسريعة الفناء، وفى بلادنا من الحرائر ما يتيه عليه حسناً وجمالاً، فالأوروبيون عرفوا قيمتها ونحن جاهلون وصار أمراؤهم يتباهون بفرش قصورهم الرفيعة بالأقمشة الشرقية والارتداء بالنسيج العربى وتزيينه بجركسة الشرقية، فإذا كنا نعتقد فيهم بأنهم أرفع إدراكاً وأرقى عرفاً، ونحن نقلدهم فى الأزياء والعادات فلماذا لا نقلدهم أيضاً بهذا الأمر، ونرفع شأن

أنفسنا ووطننا معاً.

إننا نتباهى بارتقائنا عن السلف وبإحرازنا الأدب، ونتيه عجباً بما وصلت إليه حالتنا من المدنية والتقدم، ولكن ليت شعري، أين الارتقاء والتقدم وحالتنا كما تعلمون. يا للأسف إن حظنا منهما الاسم لا الحقيقة، فإن تقدمنا الذي نزعمه ليس إلا طيف خيال، وعرفنا الذي نتوهمه لا يزيد عن قيل وقال فإننا يا سادة عبید أرقاء، ولا ندري أننا مستعبدين للزى الأوربي أو للأوروبي أن نقدم له تعب أيدينا وجنى أيامنا ومحصولات بلادنا، فيأخذها عفواً محتقراً لنا مزدرياً بنا جاحداً لخدمتنا ناكراً لمعرفنا، وما جزاء الغفلة إلا الهوان. فهل يليق بنا نحن الذين لنا الحظ الأكبر من الذكاء والدراية أن نرضخ بمثل هذه الأحوال، وننظر إلى بعض البهرجات مموهين على النفس بالفلاح وبلوغ العلاء.

فيا أيها السادة الكرام يا من أنعم الله عليهم بالثروة والجاه، إنى أستعطفكم بلسان الوطنية أن تحولوا أبصاركم البصيرة إلى الصنائع السورية، وتتخذوا ما حسن منها للرياش والمتاع، ليمثل بكم العموم ويهتدوا بنور مناركم ليطرسوا على غرر آثاركم وبذلك تخدمون الإنسانية والوطن الذي هو في أشد الاحتياج إلى ما تتركم الجليلة. فحسن مستقبل البلاد متوقف على رواج صنائعنا وبيضائنا، وهذا منوط بعلمتكم وتوقد غيرتكم ومحبتكم الوطنية. فابسطوا رعاكم الله يد النجدة والإسعاف، وخذوا بناصر المحترفين جميعاً، وبثوا في أفئدتهم الهمة والنشاط للمثابرة على العمل والاجتهاد في إتقان الحرف وإجادتها. فالصنائع إنما تستجد وتكثر إذا كثر طالبها والسبب في ذلك ظاهر، لأن الإنسان لا يسمح بعمله أن يقع مجاناً لأنه كسبه ومنه معاشه إذ لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه، فلا يصرفه إلا فيما له قيمة في مصره ليعود عليه بالريح والكسب والصناعة إذا لم تكن مطلوبة لا تنفق سوقها ولا يجتهد محترفها في إتقانها والتفنن بها بل يهجرها، فتموت وتتلاشى شأن كل شيء.

ومن هذا تعلمون عظم ما يترتب على نجدتكم من الخير الأكبر للبلاد، فاصرفوا العزيمة في ترقية صنائع البلاد فيرفع لكم الشرق تمثال الشرف مكللاً بتاج الفضيلة وكفى بذلك فخراً لمن عقل.

أيتها السيدات الكريمات، إن ما أعهد به بشخصكن اللطيف من رقة الجانب ودمائة الخلق يجرائني على مخاطبتكن الآن في هذا المشهد الحافل بأرباب العرف وسيدات الذكاء، وما أعلمه من حسن مبادئكن وتثقيف ذهنكن واستعدادكن التام لخدمة الخير العام يحملني على أن أتقدم إليكن ببعض الملاحظات، ملتزمة مكارمكن الواسعة قبول ما سأبسطه لديكن ولا عدمتكن من نصيرات محسنات.

لقد اتفق العلماء الأعلام على أن تقدم البشر متوقف على النساء أكثر منه على الرجال، وذلك لأسباب شتى أعظمها كونها مهذبة الأطفال ومربية الرجال من ملك عظيم إلى عاقل مسكين، وهذا مما يجعل تأثيرها العامل الأكبر في اجتناء الخيرات وتحصيل الرغائب، وعليه جئتُ أذكركن أيتها الفاضلات بنظم ما يترتب على كل واحدة منكن من الواجب الخطير نحو الوطن، فأحاولنا الحالية تستدعيكن لصرف القدرة وبذل الجد والجهد في مداواة الاعتلال وإصلاح الاختلال. لا يخفى عليكن أيتها الأديبات أن مدام بالمر رئيسة القسم النسائي في معرض شيكاغو العام قد حررت إلى أنا العاجزة مع بعض الفاضلات بتحريك الخواطر، وحث الهمم لتأليف لجنة من نساء البلاد لجمع أشغال المرأة السورية على أنواعها وأجناسها، فكتبت مع سواي مستعطفات بنات الوطن إلى الاهتمام بهذا الأمر الخطير، مبينة ما يترتب عليه من الخير العام والفائدة الكبرى ولكن كنت في ذلك كمن يضرب في حديد بارد، ويا للأسف ثم شرفتني حضرة الرئيسة المذكورة بأنها دعتنني للخطابة في مدة المعرض عن حالة نساء بلادنا السورية وما هنَّ عليه من العلم والأدب، فلم أبدأ من تلبية هذا النداء الشريف والامتثال لأمرها الكريم لئلا يقال في المرأة السورية أنها لا تصلح لشيء، فعزمت بعد الإتكال على

المتعال أن أذهب إلى تلك الأقطار، واضطرت إذ رأيت الجميع لاهيات أن أجمع من أشغال المرأة السورية ومن صنوف بضائعنا الشرقية ما يتيسر للعرض فى بناية النساء لعلى أستطيع أن أجعل للمرأة السورية اسماً يذكر، وأعلن من آثارها أثراً يشكر، وقد وفقنى المولى إلى استحضر صنوف متضاربة من الأشغال التى هى بالحقيقة على جانب كبير من الإتقان والظرافة، ورأيت بين أقمشتنا الشرقية ما يليق بلباس الأميرات وحلل المخدرات مع ما هو عليه من بخس الثمن ومتانة الجنس.

فكيف يسعنى السكوت والحالة هذه عن أعراضنا نحن النساء عن بضائعنا وتهافتنا إلى السلع الأوروبية وشرائها، كيف كانت بأعلى الأثمان زعماً بأن هذا مما يزيدنا تمدناً ويكسبنا جمالاً، ونحن فى ذلك ليسوا سوى خدمة الملكة الزى المتقلبة الرأى المتغيرة الذوق القاهرة الصولة الظالمة القضاء، والتى تطلب من رعيبتها تقديم أجسادهن وأدابهن وأموالهن على رغائبها التى لا تحصى فىا، لله من هذا الاستبداد العظيم والاستعباد المطلق، فكم أشقى من حسناء وأدمى من نجلاء، وأهلك من هيفاء وأخرب من آداب ولا شىء من مكرمات.

فلنتحد أيتها الفاضلات، ولنشهر حرباً عواناً ضد هذه البلية الصماء، لتقهر صوتها قبل أن تثبت أقدامها فى البلاد، ولنصرف أموالنا فى نفع أوطاننا وإحياء دارس صنائعنا وموات بضائعنا، ولنرتدى جميعنا بأنسجة بلادنا التى هى بالحقيقة لا تقل جمالاً وذوقاً عن التى نتهافت إليها من البلدان الأجنبية، متيقنات أن قيمة المرأة لا تقدر بنفاسة حاملها وحليها بل بغزارة فضائلها وسمو آدابها وغرر مآثرها، فعلىنا باتخاذ التعاون ظهيراً والاتحاد معيناً والهمة ساعداً فى إنجاد الوطن وتبديد عوامل القهقرى ومسببات الانحطاط لك ٢٦٦ن شعار ارتقائه وعنوان مجده.

ولابد لى فى الختام أيها الأفاضل والفاضلات من إظهار ما لى فى شهامتكم العربية وغيرتكم الوطنية من الآمال التى تملو بكم إلى أوج المعالى، وترفعكم إلى

السهى فإنكم قد برهنتم فى هذه السنين المتأخرة أن لكم بعد فى نفوسكم بقية من عزم أجدادكم ونشاط آبائكم ودراية أسلافكم، فسلكتم البحار وجبتم القفار للاتجار واكتساب الأموال وازدياد الثروة ركن التقدم وعنوان الفلاح جادين فى سبيل العلياء فى الطلب، وعليه لا أرى حاجزاً يحول دونكم ودون ترقيتكم للبضائع الشرقية والصنائع السورية التى بإجادتها والإكثار منها تتم معدات التقدم وتتهيأ أسباب الحضارة والعمران، فرجائى ببصيرتكم النيرة إنزال هذا الظل الأكبر منزل الاعتبار لتستعز بكم البلاد وتسعد بمساعيكم الجليلة العباد.

وهنا أرفع لسمو مكارم حضرة أستاذى الفاضل أزهار الحمد محمولة على طبق الثناء، متأرجة بنشر مآثره الغراء ومحاسنه البيضاء فريضة شكر وواجب منه، على ما طوق به جيدي من حلى الفخر وقلادة الشرف بإجاداته على بقبول ملتهمسى لتزيين هذه الليلة الزهراء بدرر أقواله وحكم آرائه، فالله أسأل أن يحفظه للوطن عماداً وللعلم ملاذاً وإليه عز اسمه أتوسل أن يوفقنا جميعاً إلى ما به تقدم الوطن ونجاحه بظل ظليل الحضرة السلطانية وعناية أولياء الأمور الصادقين، وله ملك السموات والأرض إنه فعال لما يريد.

وقد قرظت هذا الخطاب الأنيق حضرة الكاتبة الفاضلة السيدة استير ازهرى بهذه المقلة الغراء فقالت أيتها الفاضلة:

حبذا كلامك من كلام شحذ الأذهان الكلية ونبه القلوب الغافلة من رقدتها الطويلة، وحذرنا من مداومة السير على غفلتها، فنهج لنا طريقاً واضحاً وأرانا صراطاً سويّاً حتى إذا ما سرنا بحسبه عاد على بلادنا بالعمران وعلونا معارج السعادة والرغد والرخاء، فنبقى ما لنا فى بلادنا نتعامل به بحيث يزيد الضعف ضعفان.

هذا، وإنى أهنئك بما حزتيه من المقام الرفيع فنلت الأسبقية على بنات جنسك

الشرقيات فعلوتٍ منبر الخطابة بحيث لم يرتقِ هذا المقام أحد قبلك.

فواهاً ليوم تزداد أمثالكِ في البلاد وسقياً لحين تصبح نحن والغربيات سواءً بحيث لا يعود لهنَّ من فضل لم نحذ حذوهنَّ به، فقد صرنا والحمد لله وبعناية أولى الفضل إلى درجة هي منتهى الآمال، فصار منا كاتبات ومحركات جرائد ومديراتها، هذا والفتاة الغراء تؤيد صدق المقال. وإنى أوْمَلُ بأنه لا يمضى ربح من الزمان إلاً ونرى بيننا طبيبات وممرضات وهلمَّ جرَّ، فترى العالم أجمع أن المرأة الشرقية قد استعانت عن تهاملها السابق بالنشاط، واستبدلته بالعمل والإقدام بعد أن تنال كل الحقوق التي طالما خطرت عليها من مقاسمة الرجل أتعابه المادية والأدبية بعد أن علمت بالواجبات التي عليها والتي لها في ظل ظليل الحضرة العلية السلطانية.

في المرأة وحقوقها وواجباتها

في تدبير المنزل

«تابع ما قبله»

والمرأة لا تكون أقل استعداداً في الفطرة من الرجل إذا تربت مثله وتعودت على العمل والعلم والكسب إلى غير ذلك، وإن شئت فسل أهل أميركا عن تقدم نساها وهم ينبؤونك بأن أساس ذلك هو اهتمامهم إلى توجه العناية بإتقان تربية البنات، فإن نساء تلك البلاد خصوصاً الولايات المتحدة قد قمن على قدمٍ وساق يطلبن حقوقهن ورفع المظالم عنهن ومساواتهن بالرجال، ومن عهد ليس ببعيد أقرت الحكومة في بعض أقسامها للنساء الحق في انتخابهن نواباً كالرجال.

ولما انتشر هذا القرار تصدى الأستاذ كوب لمقاومتهم مثبتاً أن المرأة لا تقوى على مناصب الحكومة، فأفحمتها السيدة شبرسكى حنسنكن بقولها (قد ظهر من الرجال عدم السير إلى جادة الحق والاستقامة في أمر الانتخاب، فعلى النساء أن يبادرن إلى